دور القيم الذّكوريّة في تحديد مكانة المرأة في المجتمع الجزائري
–مقاربة نظريّة استنادا إلى المدخل الثّقافي–

The Role of Male Values' Role in Determining the Woman Status in the Algerian Society a Culture-Based Theoretical Approach

نورالدّين كوسة*

قسم علم الاجتماع، كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة سطيف2، الجزائر

تاريخ الاستلام: 2020/02/18 تاريخ القبول: 2020/03/19
تاريخ النشر: 2020/07/30

الملخّص:

يأتي هذا المقال للوقوف على إشكاليّة سوسيوثقافيّة ذات صلة بالقيم الذّكوريّة، من خلال التّركيز على دور تلك القيم في تحديد مكانة المرأة في المجتمع الجزائري؛ استنادا إلى المدخل الثّقافي، وذلك برصد تجلّيات القيم المشار إليها في خلق التّمايُز الرّمزي، بين الفضائين الذّكوري والأنثوي، والتي أفضت ترجمتها على أرض الواقع إلى التّأسيس لممارسات وتمثّلات داخل المجتمع، وهذا من خلال توزيع الأدوار المتاحة لكل من الفضائين –الذّكوري والأنثوي–، وتوجيه الرّؤى والتصوّرات التي تحكم معالم العلاقة الخاصّة بين طرفي المعادلة وهما المرأة والرّجل، والتي تحدّدت في ضوئها مكانة المرأة بين الماضي والحاضر.

الكلمات المفتاحيّة: القيم الذّكوريّة؛ المجتمع الجزائري؛ المدخل الثّقافي؛ المرأة؛ الهيمنة.

*- الباحث المُرسل:koussanoureddine@yahoo.fr

Abstract:

The present article sheds light on the identification of socio-cultural problematic related to male values. The work focuses on the role of these values in a culture- based determination of the woman status in the Algerian society by defining the manifestations of male values in the creation of the symbolic distinction between male and female universes, resulting in setting up new of practices and representations within the community, through the distribution of roles allotted to both universes– male and female - and the guidance of visions and perceptions that govern the parameters of the special relationship existing between the two sides of the equation, positioning woman status between the past and the present.

Keywords: Male values, Algerian society, Culture based Approach, Woman, Dominance.

1-مقدّمة:

يندرج البحث في موضوع دور القيم الذّكوريّة في تحديد مكانة المرأة في المجتمع الجزائري؛ استنادا إلى المدخل الثّقافي، ضمن المسعى الهادف إلى الوقوف على جملة من العناصر الإشكاليّة التي تُثير كثير من الجدل؛ بخصوص مدى فعاليّة وتأثير تلك القيم المُشار إليها خلال مراحل مختلفة من تاريخ المجتمع الجزائري، في تحديد الأُطُر النّاظمة لمكانة المرأة، آخذين بعين الاعتبار وفق ما ينطوي عليه المدخل الثّقافي من آليات منهجيّة لرصد دور القيم الذّكوريّة؛ إثارة أهميّة المرجعيّات الثّقافيّة في تهيئة المخيال المجتمعي الجزائري لبناء تمثّلات ورؤى بخصوص المعالم الرّمزيّة والماديّة التي تؤطّر حضور المرأة، من خلال أداء أدوارها في الحياة الاجتماعيّة ضمن سياق تلك التمثّلات التي أفرزتها القيم الذّكوريّة.

ولعلّ أهم خصوصيّة تنطبع بها القيم الذّكوريّة ضمن سياق إفراز التّراتبيّة الاجتماعيّة القائمة على ثنائية الذّكر والأنثى والرّجل والمرأة، أنّها لا تتأسّس من الوجهة الأنثروبولوجيّة على الاعتبارات المميّزة للذّكورة والأنوثة ككيان عضوي خالص ولا ككيان ثقافي خالص، بل تُدمج بينهما بشكل يتعذّر معه تحديد أوجه وحدود هذا التّداخل، فهي تارة تقوم على الاعتبارات الثّقافيّة وتنحو تدريجيّا نحو العضويّة، وتارة أخرى تنطلق من الاعتبارات العضويّة لتنتهي بالاعتبارات الثّقافيّة.

وقد جاء هذا البحث في مجموعة من العناصر، حيث كانت البداية بالوقوف على أهميّة الاستناد إلى المدخل الثّقافي لرصد مكانة المرأة في المجتمع الجزائري، ثم انتقلنا إلى إثارة مسألة القيم الذّكوريّة وجدليّة المحليّة والعالميّة؛ باعتبارها أرضيّة ممهّدة للتطرّق إلى موضوع القيم الذّكوريّة في الثّقافة الجزائريّة، آخذين بعين الاعتبار التّركيز على دور الأعراف في ترسيخ تلك القيم، لتكون مدخلا لرصد تجلّياتها في الثّقافة الجزائريّة وانعكاساتها على وضعيّة المرأة ومكانتها، وهذا عبر استعراض المسار المُميّز لمكانة المرأة في المجتمع الجزائري بين الماضي والحاضر، مركّزين بوجه خاص على مرحلتين أساسيّتين هما؛ المرحلة الاستعماريّة ومرحلة الاستقلال، وانهينا البحث بخاتمة اشتملت على مجموعة من النّتائج التي أمكن استخلاصها من خلال عناصر هذا البحث.

2-أهميّة توظيف المدخل الثّقافي لرصد مكانة المرأة في المجتمع الجزائري:

على اعتبار أنّ البحث فيما يتّصل بمكانة المرأة في المجتمع الجزائري يُشكّل امتدادا لعمليّة البحث في المسائل المتعلّقة بالقيم الذّكوريّة، وما أفرزته من تراتُبيّة بين الفضائين الذّكوري والأنثوي، من حيث أثر هذه القيم المُشار إليها في تحديد المعالم الكبرى للعلاقة بين الرّجل والمرأة، من خلال رسم الأطُر الأساسيّة المُحدّدة لمكانتها ضمن نطاق هذه العلاقة، ورصد تأثيراتها على البنية العلائقيّة للنّظام الاجتماعي بشكل عام، ولذا فإنّ هامشا مهمّا من التصوّرات والرّؤى اللّصيقة بالمرأة التي ارتسمت في المخيال المجتمعي للمجتمع الجزائري وتحدّدت على ضوئها مكانتها، من خلال تثبيتها للأطر والسّياقات التي تمثّل المعالم الأساسيّة للفضاء الذي ينبغي أن تتحرّك ضمنه هذه الأخيرة -المرأة-، قد تشكّلت انطلاقا من القواعد التي صاغتها القيم التي تغذّت على المرجعيّات الثقافيّة للمجتمع، بترجمة تلك القواعد المُصاغة على أرض الواقع والاحتكام إلى سلطتها الرّمزيّة.

ولا شكّ أنّ تعدُّد المداخل التي يمكن من خلال الاستناد إليها الإمساك بالخطوط العريضة التي تتحدّد في ضوئها دور القيم الذّكوريّة في تحديد مكانة المرأة في المجتمع الجزائري، يجعلنا نحاول ضمن سياق مُساءلتنا لهذا الموضوع؛ وبغرض تجنّب مسلك التشعّب والغموض الاقتصار على المدخل الثّقافي، لما يوفّره هذا الأخير من زوايا نظر تُمكّننا من الوقوف على البنية النّاظمة لمكانة المرأة في علاقتها الجدليّة بالمرتكزات الثّقافيّة، وهو ما يُفضي إلى مُلامسة أثر القيم الذّكوريّة في ذلك، حيث أنّ هناك شبه إجماع بين معظم المهتمّين بموضوع المرأة؛ على أهمّية الاعتماد على المدخل الثّقافي والانطلاق منه بُغية الإمساك بجوانب هذا الموضوع الحيوي.

فأهمية المدخل الثّقافي وفق ما يراه المتخصّصون تكمن في الإحاطة والفهم العميق لوضعيّة المرأة؛ لأنّ "موضوع صورة المرأة في الفكر والمجتمع من الموضوعات التي لا يمكن تشخيصها في مختلف أبعادها دون استحضار المكوّن الثّقافي،... لأنّ الثّقافة تُعدّ عاملا فاعلا في عمليّة تشكُّل النّظام الاجتماعي في صُوَره

ومراتبه المختلفة"[1]، وبهذا فإنّ المدخل الثّقافي يعد بمثابة آلية منهجيّة تُتيح رصد جملة من التمثّلات والرّؤى التي تُنتجها ثقافة المجتمعات حيال عدد من القضايا والمواضيع، ولعلّ ما تجدر الإشارة إليه أنّ الاعتماد على هذا المدخل المُشار إليه لفهم المعطيات المتّصلة بمكانة المرأة ليس حكرا على مجتمع دون آخر، بل يمكن إسقاطه على جل المجتمعات وبوجه خاص المجتمعات المغاربيّة.

3-القيم الذّكوريّة وجدليّة المحليّة والعالميّة:

لاشكّ أنّ القيم في شكلها العام تُعدّ من أهم العناصر التي تعمل الثّقافة على غرسها في المجتمعات، وهي تُستخدم وفق وجهة نظر الأنثروبولوجيين المنتمين للمدرسة الثّقافيّة "للدّلالة على الملامح الثّقافيّة المعياريّة"[2]، ولذا يذهب بعض الباحثين في موضوع القيم؛ إلى اعتبار "أنّ السّلوك أو الممارسة تتأثّر بنوعيّة القيم التي يحملها الفرد، والقيم هذه تُشكّل جزءا مهمّا من آرائه ومبادئه و أفكاره العامّة التي يحملها على الحياة بشكلها الشّمولي أو التّفصيلي"[3]، وهو ما يجعل الاهتمام بالقيم بشكل عام من أهم المباحث الفكريّة الرّاهنة التي تشغُل اهتمام كثير من الباحثين والدّارسين، لما تنطوي عليه هذه الأخيرة من عناصر وبؤر تفكير حيويّة تقود إلى تفكيك كثير من الإشكاليّات الثّقافيّة المطروحة.

ويُشكّل البحث في ما يتعلّق بالقيم الذّكوريّة أحد هذه المواضيع التي تحضى باهتمام لافت؛ من قبل الباحثين المنتمين إلى عائلة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، ومن ضمنها البحوث الأنثروبولوجيّة بوجه خاص، ولعلّ ما تجدُر الإشارة إليه ضمن

---

[1]-عبد اللّطيف، كمال، **صورة المرأة في الفكر العربي- نحو توسيع قيم التّحرّر-**، منشورات زاوية للفن والثّقافة، المغرب، ط1، 2006، ص:7-8.

[2]-Bonte, P, et Izard, M, Dictionnaire de l'ethnologie et de L'anthropologie, Puf, Paris, 2002, p:733.

[3] -محمّد الحسن، إحسان، (التّراث القيمي في المجتمع العربي بين الماضي والحاضر، مجلّة دراسات عربيّة)، دار الطّليعة، بيروت، السّنة السّادسة والعشرون، العدد 9، 1990، ص:90.

هذا السّياق أنّ تصفّح الكتابات التّأسيسيّة التي خاضت في هذا الموضوع، تصب في جملة من النّتائج مُفادها أنّ القيم الذّكوريّة تكاد تكون قيم عالميّة، وهي بهذا المُعطى لا يمكن اعتبارها حكرا على ثقافة دون أخرى، مع تسجيل فوراق نسبيّة في تجلّيات هذه القيم بين مجتمع وآخر؛ وربّما نُزوعًا نحو انحسارها الظّاهري في بعض المجتمعات الغربيّة، حيث أشار(بورديو **Bourdieu**) إلى هذا الحضور العالمي للقيم الذّكوريّة المُنتجة لتمثّلات ورؤى تتمظهر في الممارسات الاعتياديّة للحياة اليوميّة، إذ تجد حسب بقوله "... كل الظّروف مجتمعة لملء ممارستها، والحضور المُعترف به كونيّا للرّجال يتأكّد في موضوعيّة البُنى الاجتماعيّة ونشاطات الإنتاج وإعادة الإنتاج..."[1].

ولاشكّ أنّ القيم الذّكوريّة وما أفرزته من قواعد لاشعوريّة تحكم تصوّرات الأفراد والجماعات فيما يتّصل بهيمنة الفضاء الذّكوري على الفضاء الأنثوي، قد ترسّخت وانطبعت في نفسيّة هؤلاء-الأفراد والجماعات- باعتبارها أمرا فطريّا لا نقاش فيه، ووفق هذا المنحى فإنّ كثير من الدّراسات التي تبنّت فكرة ترسّخ القيم الذّكوريّة في اللاّشعور الجمعي، قد ذهبت إلى تفسير ذلك معتبرة، أنّه "من غير شكّ أنّ البُعد النّفسي الذي يكتنف هذه النّظرة هو بعد أنثروبولوجي كوني تقريبا، إذ أنّ التطوّر الذي خضعت له الإنسانيّة قد رسّخ التّمايزات بين الذّكر والأنثى على أساس جسدي"[2].

وبرغم تسجيل بورديو لتراجع تلك الصّرامة التي كانت تُميّز المركزيّة الذّكوريّة من خلال بعض شروطها المثاليّة، فإنّه يشير إلى أنّ "...بعض الآليات التي تُؤسِّس تلك الهيمنة مازالت تواصل الاشتغال...سواءا عند الرّجال أو عند النّساء"[3]، ويضيف

---

[1]–بورديو، بيار، **الهيمنة الذّكوريّة**، ترجمة سلمان قعفراني، مراجعة ماهر تريمش، المنظّمة العربيّة للتّرجمة، بيروت، ط1، 2009، ص:60.

[2]–عشراتي،سليمان، **الشخصيّة الجزائريّة–الأرضيّة التّاريخيّة والمحدّدات الحضاريّة–**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2002، ص:216.

[3]–بورديو، بيار، مرجع سبق ذكره، ص:90.

مؤكّدا على حقيقة اندراج هذه المسألة ضمن البديهيّات قائلا "إنّ الإيعازات المستمرّة والصّامتة واللاّمرئيّة التي يوجّهها العالم المتراتب جنسيّا للنّساء...لقبول تعليمات وتحريمات اعتباطيّة لأنّها متأصّلة في نظام الأشياء، تنطبع شيئا فشيئا في نظام الأجساد على أنّها بداهيّة وطبيعيّة ومفروغ منها"[1].

كما تتدعّم القيم الذّكوريّة بما فرضته الحياة اليوميّة من أدوار شملت مختلف الممارسات الماديّة واللاّماديّة، بما ينسجم والطّبيعة النّفسيّة والعضويّة لكل من المرأة والرّجل، فكان من الطّبيعي أنّ "مُلابسات الحياة نفسها قد أهّلت الطّرفين لأعباء فيها تباين واختلاف، فالرِقّة التي تلازم طبيعة الأنثى وتكفُل لها من السّماحة والجَلَد ما ترعى به وليدها وهو على أكمل صورة من الضّعف، توازيها غلظة أو قوّة عضليّة وعاطفيّة تجعل من الذّكر أكثر إقداما على الفتك في مواقف الخطر وأسبق إلى الرّدّ بالعنف من المرأة، و أقدر على البذل العضلي في غالب الأحيان والمداومة عليه"[2].

4-القيم الذّكوريّة في الثّقافة الجزائريّة؛العناصر المغذّية لها وتجلّياتها:

تُعدّ القيم الذّكوريّة أحد أشكال القيم التي أنتجتها الثّقافة الجزائريّة والتي تتميّز بحضور لافت داخل النّسق الثّقافي العام، بحيث يمكن مُلامسة تجلّياتها وتمظهراتها من خلال القراءة المعمّقة والدّقيقة لبعض السّلوكات الماديّة والرمزيّة، الصّادرة عن فئات المجتمع الجزائري سواء الوسط الذّكوري أو الأنثوي، فالقيم الذّكوريّة التي تبدو ماثلة في اللاّوعي المجتمعي ليست وليدة الفترة الزّمنيّة الرّاهنة أو القريبة منها بل تكاد تكون قيم متوارثة موغلة في القدم، ناشئة عن رواسب لتصوّرات وتمثّلات ثقافيّة غذّتها جملة من الأعراف والعادات والتّقاليد التي ارتسمت ضمنها صورة الكيان الأنثوي، وتجسّدت عبرها الحدود الرّمزيّة للفضاءات التي ينبغي أن يَشغُلَها هذا الكيان دون سواها من الفضاءات الأخرى، من خلال الاستناد إلى مجموعة من العناصر الثّاوية ضمن الثّقافة الجزائريّة، التي ساهمت في تغذية القيم الذّكوريّة، وتأتي على رأسها الأعراف والتّقاليد

---

[1]-بورديو، بيار، مرجع سبق ذكره، ص:90.

[2]-عشراتي، سليمان، مرجع سبق ذكره، ص:216.

1-4-دور الأعراف في ترسيخ القيم الذّكوريّة في الثّقافة الجزائريّة:

لقد ساهمت الأعراف باعتبارها تُشكّل إحدى المرجعيّات الأساسيّة لثقافة المجتمع الجزائري، في الالتفاف على بعض النّصوص الدّينيّة التي تشير إلى قوامة الرّجل، هذه الأخيرة التي تقوم على منطق الاحترام المتبادل، وهي في حقيقتها "لا تلغي ولا تُبعد بأيّ حال من الأحوال التّعاون البنّاء والتّضامن المشترك بين الطّرفين"[1]، حيث تمّ تبنّي رؤى وتصوّرات مُجافية للمقاصد الحقيقيّة للقوامة، ولذا فإنّ مفهوم القوامة قد تمّ الانحراف به عن السّياق المُراد منه، حيث"اعتراه كثير من التّحريف والتبدّل، بسبب الجهل أو المصالح الدّنيئة أو التّفسيرات المُتحيّزة"[2]، من خلال تأويل تلك القوامة بما يخدم هيمنة الرجل على المرأة، وفق ما يندرج ضمن سياق هيمنة الجنس الذّكوري، مُنتجا بذلك نمطا من السّلطويّة التي تمثّل أحد تجلّيات القيم الذّكوريّة.

وبهذا الفهم فقد أضحى المجتمع الجزائري "يتعامل مع قيم تحُيل على الذّكورة والأنوثة في معانيها المتسفِّلة، بدل أن تحيل على مخلوقين عدلين يتشاركان على قدم من التّعاون والمساندة والنّهوض بأعباء الحياة"[3]، على اعتبار أنّ مفهوم القوامة في حقيقته "لا يُغْرِب عن دلالة التّمايز المعنوي بين الرّجل والمرأة، ولا التسلّط على الأنثى والانتقاص من قيمتها وحقوقها وكرامتها ولا الجور والتّعالي، إنّما يُحيل إلى المعنى الذي يرُكّز على ترجيح دور الرّجل على المرأة في بعض المواقف لأسباب مختلفة، قد يعود بعضها كما هو معروف إلى القوامة البيولوجيّة، أو القوامة الإنفاقيّة"[4].

---

[1]–بن عبد الله، محمّد، **سيكوباتولوجيا الشخصيّة المغاربيّة**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر،2010، ص:101.

[2]–المرجع نفسه، ص:101.

[3]–عشراتي، سليمان، مرجع سبق ذكره، ص:219–220.

[4]–بن عبد الله، محمّد، مرجع سبق ذكره، ص:101.

ويبدو أنّ كثيرا من المبرّرات والحجج التي ساهمت في إثراء الفُهوم المرتبطة بالقيم الذّكوريّة في الثّقافة الجزائريّة، تتّكئ في معظمها على تلك الصّفات المادّية والمعنويّة اللّصيقة بالكيان الأنثوي في المخيال المجتمعي، والتي تعتبره كائنا ضعيفا جديرا بأن يخضع للوصاية الذّكوريّة المتّسمة بالاتّزان والقوّة، وذلك لأنّ "التّراتب الاجتماعي الذي عرفته البيئة الجزائريّة عبر صيرورتها التّاريخيّة قد اتّخذ من التّمايُز بين الرّجل والمرأة أهم ارتكازاته المبدئيّة والأخلاقيّة والعرفيّة"[1]، برغم أنّ الدّين الإسلامي قد حمل توجيهات صارمة أنصفت المرأة وأعلت من شأنها، بما حفظته لها من حقوق وما وفّرته لها من حماية.

4-2-تجلّيات القيم الذّكوريّة في الثّقافة الجزائريّة:

إنّ القيم الذّكوريّة بما أفضت إليه من تمثّلات وممارسات ترتسم عبرها تجلّيات هذه القيم، وتتجسّد ملامحها بشكل ملموس وأحيانا أخرى بشكل رمزي داخل الفضاء الاجتماعي للمجتمع الجزائري، أضحت بمثابة السّلوك الاعتباطي الذي لا يمكن تبريره إلا ضمن سياق اعتباره من الأمور الفطريّة المسلّم بها، ففي دراسته الشّهيرة المعنونة بـ"الهيمنة الذّكوريّة" والتي كان ميدانها منطقة القبائل بالجزائر، وقف بورديو على حقيقة تجذّر القيم الذّكوريّة، من خلال اندراجها ضمن الممارسات المألوفة والتي تبدو ماثلة في اللاّوعي المجتمعي.

ولذا فإنّ القيم الذّكوريّة في المجتمع الجزائري قد أفرزت تراتبيّة بين الفضاء الذّكوري والفضاء الأنثوي، من حيث إضفاء نوع من التّقسيم اللاّمرئي الذي يختصّ به كلّ منهما، من خلال إصباغه بمجموعة من المميّزات المُحْتَكِمة إلى القواعد العرفيّة التي تبدو من فرط تداولها وكأنّها قواعد لاشعوريّة مألوفة، قد يترتّب عن عدم الالتزام بها إخلالا بالنّظام الاجتماعي ومساسا بآليات سيره، "فكلمة الرّجل في البيئة الجزائريّة إلى وقت قريب بل إلى الآن كلمة فوقيّة، وسنجد آثار التّغليب لروح الذّكورة وليس الرّجولة في المجتمع تتجسّد في أحوال واستجابات قد تكون دوافعها خفيّة"[2].

---

[1]-عشراتي، سليمان، مرجع سبق ذكره، ص:218-219.

[2]-المرجع نفسه، ص:217.

فليس غريبا أن تقف الأعمال الأكاديميّة التي اشتغلت على الموروث الشّفوي للمجتمع الجزائري من أمثال وشعر وحكايات شعبيّة، من خلال البحث في صورة المرأة ضمن هذا الموروث الشّفوي، على حقيقة حضور القيم الذّكوريّة بعمق في ثنايا هذا الموروث الشّفوي المُشار إليه آنفا، بل يمكن القول أنّ جزءا لا يُستهان به من الممارسات التي تعكس تجلّيات القيم الذّكوريّة في المجتمع الجزائري، إنّما تتأسّس على تلك الرّؤى والتّصوّرات التي تجد صداها في الموروث الشّفوي المجتمعي بمختلف طُبُوعه، وضمن هذا السّياق يشير الباحث محمّد سعيدي في الفصل الخاص بصورة المرأة، ضمن أطروحته للدّكتوراه حول المثل الشّعبي الجزائري قائلا "أنّ النّصوص التي تمدح المرأة وتعترف بقيمتها الاجتماعيّة والثّقافيّة قليلة مقارنة مع النّصوص الدّالّة على الطّابع الاحتقاري والتّدنيسي للمرأة"[1]، ويضيف في هذا الشّأن معلّلا سبب ذلك بقوله "ولعلّ ما يُفسّر في اعتقادنا هذا اللاّتوازن، هي تلك النّزعة السّلطويّة للذّكور على الإناث..."[2].

وهو نفس الاتّجاه السّائد لدى الباحثين وكذا المهتمّين بمسألة صورة المرأة عبر الأدب الشّعبي الجزائري، من خلال التّأكيد على تأثير الأدب الشّعبي الجزائري في تهيئة المخيال المجتمعي لتقبّل صورة دونيّة المرأة بما يُكرّس القيم الذّكوريّة، ولذا فإنّ مظهر تفضيل الذّكورة من القيم التي سادت معظم المجتمعات خاصّة المجتمع الجزائري التّقليدي، هذه القيم التي أفضت دون شك إلى تقسيم الأدوار بين الذّكور والإناث، كما عملت على تحديد المعالم الأساسيّة التي تَرتسِم ضمنها الحدود المُشَكِّلة للفضائين الذّكوري والأنثوي.

مع وجوب الإشارة أنّ الحدود بين الفضاء الذّكوري والأنثوي برغم ما تفرضه القيم الذّكوريّة من تقسيمات؛ تبقى حدودا غير قارّة ومتحرّكة، حيث تضيق وتتّسع

---

[1]–سعيدي، محمّد، (المثل الشّعبي الجزائري– مقاربة بنيويّة–)، أطروحة دكتوراه دولة غير منشورة، إشراف شايف عكاشة، قسم الثّقافة
الشّعبيّة، جامعة تلمسان، الجزائر، السّنة الجامعيّة 1999 –2000، ص:146.
[2]–المرجع نفسه، ص:146.

بفعل جملة من العوامل والمعطيات المتّصلة بالتّماس الذي يحصُل بين الفضائين في الميادين المختلفة، كالتّعليم والصحّة وفضاءات العمل المشتركة، وكذا بفعل تحسّن المستوى التّعليمي للمرأة وتدرّجها في مناصب المسؤوليّة، ممّا أهّلها لأداء أدوار وظيفيّة كانت إلى وقت قريب حكرا على الفضاء الذّكوري، ممّا جعلها تشكّل فاعلا اقتصاديّا واجتماعيّا وشريكا أساسيّا لا يمكن الاستغناء عنه.

غير أنّ التّماس والاحتكاك الذي يحصل بين الفضائين الذّكوري والأنثوي والذي قد يؤثّر في تراجع المركزيّة الذّكوريّة، من حيث المساهمة في إضفاء ليونة على آلياتها الصّارمة التي تؤطّر هذه القيم الذّكوريّة وتخفّف من حدّتها، إلا أنّها تُبقي على ذلك التّمايّز الواضح المعالم بين الفضائين، بفعل صلابة المرجعيات التي تُغذّي القيم الذّكوريّة وتمدّها بضوابط وقواعد لا مرئيّة، سرعان ما تبُثُّ فيها الحَرَاك وتوقظها في لحظات الخُفُوت، والتي قد تعود إلى نوازع ورواسب لاواعية كامنة في الضّمير المجتمعي.

5-استعراض لمكانة المرأة في المجتمع الجزائري بين الماضي والحاضر:

إنّ مكانة المرأة في المجتمع الجزائري إنّما تحدّدت في الماضي وتتحدّد –سواء في الزّمن الحاضر أو المستقبل- على ضوء تموقُعها في المحيط الاجتماعي والثّقافي والاقتصادي، وهذا ضمن نطاق المحيط العائلي المصغّر بشكل خاص والمحيط الاجتماعي للمجتمع ككل بشكل عام، هذا التّموقع الذي يمكن إجماله في التّأثيرات المترتّبة عن حضورها ضمن هذا المحيط، من حيث النّتائج التي يفرزها هذا الحضور وكذا من حيث الأهميّة والمكانة التي يُحدثها ومدى فعاليّتها، والتي على ضوئها تتحدّد مكانتها، وضمن هذا السّياق يرى الأستاذ محمّد حمداوي أنّه "لا يمكن فهم وضعيّة المرأة في الحاضر ولا توقّع وضعيتها في المستقبل دون استقراء الو اقع الاجتماعي العام، ودون استكشاف البنية الأسريّة، ذلك أنّ المرأة عنصر بنيوي ووظيفي في الأسرة وفي مؤسّسات المجتمع، تتحدّد وضعيتها بمو اقع أفراد البنية الآخرين"[1].

[1] –حمداوي، محمّد، (وضعيّة المرأة والعنف داخل الأسرة في المجتمع الجزائري)، مجلّة إنسانيّات، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا

5-1-مكانة المرأة في المجتمع الجزائري خلال المرحلة الاستعماريّة:

إنّ وصاية الرّجل على المرأة التي أفرزتها القيم الذّكوريّة باعتبار أنّ هذه الأخيرة لا يحق لها وفق جملة من القواعد العرفيّة أن تتصرّف في القضايا المصيريّة لحياتها، أو أن تُدير الشّؤون المتعلّقة بما هو خارج الفضاء المنزلي المُخوَّل لها التحرّك ضمنه، قد مثّلت أحد السّمات التي طبعت مكانة المرأة خلال المرحلة الاستعماريّة، ومثّلت عنوانا بارزا لموقعها في المحيط الاجتماعي للمجتمع الجزائري طيلة فترات زمنيّة طويلة، "وممّا لا ريب فيه أنّ الرّوح التي باينت بين منزلة الرّجل والمرأة قد تغلغلت بصورة سلبيّة وانتهت بتهميش المرأة وإقصائها من مكانتها الاجتماعيّة البنّاءة"[1]، ولا شكّ أنّ هذا الواقع الذي ميّز مكانة المرأة خلال المرحلة الاستعماريّة لم يكن حكرا على المرأة الجزائريّة دون غيرها؛ بل يمكن تعميمه على جميع المجتمعات المغاربيّة.

إذ يمكن القول من خلال استقراء الظّروف والملابسات التي أحاطت بمكانة المرأة الجزائريّة، باندراجها تحت وصاية الرّجل وتجريدها من سُلطة اتّخاذ القرار فيما يتعلّق بشؤونها المصيريّة، وانشغالها بالأعمال المنزليّة باعتبارها المجال الخاص بها، أنّ هناك تحالفا غير مُعلن بين القواعد التي أفرزتها المرجعيات الثّقافيّة فيما يتعلّق بموقع المرأة في المجتمع من جهة، والواقع الاقتصادي والاجتماعي الذي عاشه المجتمع الجزائري بجميع فئاته خلال فترات زمنيّة طويلة من تاريخه من جهة ثانية، ويبدو أنّ "أنماط المعيشة المختلفة في المجتمع التّقليدي تعتمد توزيعا للأدوار وتقيم فصلا صارما بين الجنسين، وفق نظام محدّد للقيم يشكّل عناصر المخيال الأبوي"[2].

حيث فرضت طبيعة الاقتصاد وكذا نمط التّركيبة الأسريّة للمجتمع الجزائري دورا محوريّا في تحديد المعالم الكبرى لمكانة المرأة سواء في المدينة أو الرّيف، إذ لم يتح هذا الواقع الاقتصادي والاجتماعي المجال لخروج المرأة خارج المحيط الأسري

الاجتماعيّة والثّقافيّة، وهران، السّنة الرّابعة، العدد10، 2000، ص:3.

[1]–عشراتي، سليمان، مرجع سبق ذكره، ص:216.

[2]– حمداوي، محمّد، مرجع سبق ذكره، ص:13

المكبّر وبالتّالي انفلاتها من السّلطة الرّجاليّة بأيّ شكل من الأشكال، فإذا كان الاقتصاد الزّراعي الرّعوي في المناطق الرّيفيّة قد فرض إدراج المرأة كطرف أساسي للمساهمة في ديمومته، من خلال إشراكها في بعض الأشغال المرتبطة بهذا النّمط الاقتصادي بما يتوافق وطبيعة المرأة وبنيتها الجسديّة، ممّا جعلها أسيرة للشّبكة الاجتماعيّة الرّجاليّة التي تدير هذا النّمط الاقتصادي المتوارث، فإنّها لم تكن أحسن حظّا في المناطق الحضريّة.

فبرغم خفّة الأعباء التي اضطلعت بها المرأة داخل هذا المحيط –الحضري- بانحسار وظائفها داخل المحيط المنزلي فقط، بفعل غياب النّمط الاقتصادي الزّراعي والرّعوي عن المحيط الحضري من جهة، وعدم إشراك المرأة في الأشغال الموجودة في المحيط الحضري التي أُعتبرت أشغال رجاليّة بالدّرجة الأولى، والممثّلة في الأنشطة الحرفيّة والتّجاريّة على وجه الخصوص، حيث بقيت المرأة لا تتحرّك ألا ضمن حيز الفضاء المنزلي، مع تسجيل استفادتها في المحيط الحضري من فرص الخروج إلى الحمّام في مناسبات مختلفة[1]، حتى أنّ الجانب الجمالي والتّزييني للمرأة كان يندرج ضمن التّوجهات الصّارمة التي يفرضها عالم الرّجال[2].

إنّ مكانة المرأة في المجتمع الجزائري خلال المرحلة الماضية والذي أتينا على تناول بعض تفاصيلها فيما تقدّم، من خلال رسم صورة عن الملامح الكبرى التي تحدّدت ضمنها هذه المكانة، تتميّز بغياب معطيات دقيقة وأمثلة حيّة استنادا إلى معلومات توثيقيّة موضوعيّة، برغم أنّ الدّراسات الأنثروبولوجيّة خلال المرحلة الاستعمارية قد أعطت لموضوع المرأة الجزائريّة اهتماما خاصّا، ضمن ما يُعرف بالأعمال الإثنوغرافيّة التي تميّزت بطابعها الوصفي التّجميعي للمعلومات، غير أنّ هذه الأعمال لم تخرج في ظاهرها عن سياق شجب وضعيّة المرأة وانتقاد تعامل

[1]–مجموعة من الباحثات الجزائريّات، **المرأة الجزائريّة**، إشراف عبد القادر جغلول، ترجمة سليم قسطون، دار الحداثة للنّشر، بيروت، ط1، 1983، ص: 225–237.

[2]–Boyer, Pierre, la Vie Quotidienne a Alger a la veille de l'intervention française,Hachette, France, 1963, p:155–160.

المجتمع معها والحث على تحسين مكانتها من خلال تحريرها من الوصاية المُمارسة عليها.

غير أنّ القراءة المتمعّنة للأفكار الواردة في ثنايا هذه الأبحاث تؤكّد أنّها تستبطن أهدافا خفيّة، والتي تصبُّ في خانة المشروع الكولونيالي الهادف إلى إثبات التّمايُز والاختلاف بين مناطق الوطن في التّعامل مع المرأة، إذ أنّها تبني معظم استنتاجاتها انطلاقا من أحكام مُسبّقة غير مُؤسّسة على رؤية منهجيّة مدروسة، حيث نجد (دوماس Daumas) ضمن كتابه "عادات وأعراف الجزائر" يسير في هذا الاتّجاه، فحينما يتحدّث عن وضعيّة المرأة في الجزائر فإنّه يُشيد بهامش الحرّية التي تحضى بها المرأة ذات الأصول الأمازيغيّة، في حين ينتقد التّضييق المُمارس عليها في الجهات الأخرى من الوطن[1].

5-2-مكانة المرأة في المجتمع الجزائري خلال مرحلة الاستقلال:

لقد حملت السّنوات التي أعقبت استقلال الجزائر مباشرة في طيّاتها عوامل التّغيير على أكثر من صعيد، وقد نالت المرأة باعتبارها من العناصر الحيويّة في المجتمع نصيبها من هذه التّغيُّرات[2]، إذ أنّ التحوّلات الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة التي عرفتها الجزائر في المرحلة التي تلت الاستقلال، قد ساهمت في إضفاء ليونة في مركزيّة القيم الذّكوريّة؛حيث انعكست على الرّؤى والتصوّرات التي كانت تهيمن على المخيال المجتمعي فيما يتّصل بالوضعيّة والمكانة التي تشغلها المرأة، وبوجه خاص على مستوى البنية العلائقيّة للنّظام الأسري الجزائري.

---

[1]–Daumas, Eugène, Mœurs et coutumes de l'algérie, Introduction de Abdelkader Djeghloul, Anep, Alger, 2006,p:132-134.

[2]–بخصوص جملة التّغيّرات التي ميّزت وضعية المرأة الجزائريّة بعد الاستقلال أنظر:

–بن زنين، بلقاسم، (المرأة الجزائريّة والتّغيير:دراسة حول دور وأداء السّياسات العموميّة)، مجلّة إنسانيّات، المركز الوطني للبحث في

الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة والثّقافيّة، وهران، السّنة السّادسة عشرة، العدد57-58، 2012، ص:16-38

وهو ما أُتاح للمرأة هامشا من الحرّية في إبداء مو اقفها تُجاه قضاياها المصيريّة خاصّة ما تعلّق بشؤون الزّواج، وكذا القضايا التي تهم المحيط الأسري من خلال إشر اكها كطرف فاعل في التّخطيط المرتبط بنمط الاستهلاك وميز انية الأسرة، كما أضحت كثير من الأسر الجز ائريّة تستجيب لمطالب المرأة بمنحها نصيبها من الميراث، إلى جانب انكماش أدائها للأدوار التّقليديّة المتمثّلة في الأشغال ذات الطّابع الزّراعي والرّعوي باستثناء بعض المناطق النّائية، وقد كان لتنامي فرص التّمدرس دور حاسم في إزالة الحواجز التي كانت سببا في التّضييق على المرأة، باندراجها ضمن الفضاء المنزلي الذي تَحكمُه حدود المحيط العائلي المصغّر.

حيث بدأ تعليم الإناث يأخذ طريقه لدى العائلات الجز ائريّة، على اعتبار أنّ "أهم التّغيّرات التي حصلت بشأن المرأة الجز ائريّة تمثّل في قطاع التّعليم"[1]، وهو ما أدّى بشكل تدريجي إلى زيادة وعي المرأة بو اقعها وهيّئ لها سبل التحرّر من سلطة الأعراف والعادات والتّقاليد، التي ترسُم الحدود الرّمزيّة التي تشكّل الفضاء الافتراضي للمرأة، والتي ترى أنّ الفضاء الدّاخلي أو المنزلي هو الأنسب لها، وقد تضافرت هذه العوامل وأدّت إلى دخول هذه الأخيرة لفضاءات جديدة ظلّت لفترة طويلة فضاءات رجاليّة بامتياز، ومنها اقتحامها لعالم الشّغل في مختلف القطاعات، ممّا مكّنها من تبوُّء مناصب ورُتب نوعيّة في مؤسّسات ذات طابع خدماتي و إنتاجي.

كما أسهم دخول المرأة التّدريجي للفضاءات المتّصلة بعالم الشّغل في تحفيزها على دخول معترك الحياة النّقابيّة، وكذا مُمارستها للنّشاط الجمعوي الذي مهّد لها الطّريق لدخولها معترك الحياة السّياسيّة في مختلف المستويات، إذ "تعود أولى المجموعات المدافعة عن حقوق النّساء إلى بداية سنة 1980"[2]، وما لبث اندراج المرأة كعنصر فاعل في النّشاط الجمعوي يأخذ المنحى التّصاعدي ويشهد حيويّة

---

[1]–بن زنين، بلقاسم، مرجع سبق ذكره،ص:16.

[2]–فريمش، مليكة، (الحركة الجمعويّة وتطلّعات المرأة الجزائريّة)، مجلّة إضافات، الجمعيّة العربيّة لعلم الاجتماع، بيروت، العددان29–30، شتاء– ربيع2015، ص:188.

سايرت تنامي المطالب النّسوية الهادفة إلى الحصول على جملة من المكاسب ذات الصّلة بوضعيتهنّ الاجتماعيّة والاقتصاديّة وكذا السّياسيّة.

والجدير بالإشارة أنّ بعض المدافعات عن حقوق المرأة "هنّ نساء كان لهنّ دور سياسي مهم لم يتّصل بالضّرورة بقضايا المرأة فقط، وإنّما اتّسع ليشمل كل هموم الأمّة"[1]، وقد تُوّج المسار المرتبط بالمكتسبات السّياسيّة للمرأة بجملة من القرارات القانونيّة التي كان غرضها الرّفع من مستوى مشاركة المرأة في الحياة السّياسيّة، حيث تُوِّج ذلك بسن قانون مُلزِم برفع نسبة تمثيل المرأة ضمن جميع الهيئات المنتخبة بجعله في حدود30 في المائة[2].

إنّ التّغيّرات التي ميّزت مكانة المرأة خلال مرحلة الاستقلال ولامست مختلف جوانب حياتها بفعل جملة من العوامل، إذا ما تمّت قراءتها من المنظور الأنثروبولوجي ضمن سياق العلاقة الجدليّة بالمناخ السّوسيو ثقافي للمجتمع الجزائري يمكن إدراجها ضمن خانة المكاسب الإيجابيّة؛ بما أفضت إليه من نقلة نوعيّة من خلال إحداث تغيّرات تدريجيّة وفق منحى زمني تصاعدي في المنظومة القيميّة في تمثّلاتها لمكانة للمرأة، بحكم مركزيّة القيم الذّكوريّة وهيمنتها، وهي مركزيّة متجذِّرة في الثّقافة التّقليديّة للمجتمع الجزائري، والتي تتّكئ على رصيد معتبر من الرّواسب التي توجّه الرّؤى والتّصوّرات المجتمعيّة، بما تمارسه من تأثير على الموقع الاجتماعي للمرأة، لأنّها تُبقي"النّساء منطويات على النّظام الاجتماعي التّقليدي"[3].

6.خاتمة:

---

[1]–المرجع نفسه، ص:188.

[2]–فيما يتعلّق بمساعي توسيع حظوظ تمثيل المرأة في المجالس المنتخبة وكيفيّات تطبيقها أنظر:
–الجريدة الرّسميّة للجمهوريّة الجزائريّة، قانون رقم 12–03 المؤرّخ في 12 يناير 2012، العدد 01، 2012، ص:49.

[3]–مظهر، سليمان، **علم النّفس الاجتماعي–نظريّة المواجهة النّفسيّة الاجتماعيّة–**، منشورات ثالة، الجزائر،2010، ص: 112.

في نهاية هذا البحث الذي جاء بعنوان "دور القيم الذّكوريّة في تحديد مكانة المرأة في المجتمع الجزائري"، يمكن أن نخلص إلى مجموعة من الاستنتاجات والتي نرى إمكانيّة إدراجها ضمن النّقاط الآتية:

-تُشكِّل القيم الذّكوريّة أحد أهم المرتكزات التي أفرزت تلك التصوّرات اللّصيقة بالمرأة، وما ترتّب عنها من مُمارسات مادّية ومعنوية ضمن هذا السّياق، كما تمثّل كذلك أحد أوجه ثقافة المجتمع الجزائري وثمرة لمرجعيّاتها الدينيّة والعرفيّة ورواسبها التّاريخيّة، والتي تحدّدت في ضوئها مكانتها في المجتمع الجزائري.

-لقد أدّت القيم الذّكوريّة إلى إفراز جملة من الأنماط السلوكيّة ذات الصّلة بالجوانب المادّية والمعنويّة، من خلال الانعكاسات التي أفضت إليها تلك الأنماط السلوكيّة فيما يتعلّق بمكانة المرأة ككيان اجتماعي من حيث صورة هذا الكيان داخل النّسق الثّقافي المجتمعي، وكذا من حيث تمثّلات أفراد المجتمع لها.

-هناك بعض التحوّلات والتّغيّرات قد أخذت تعرف طريقها على مستوى المنظومة الثّقافيّة المجتمعيّة للمجتمع الجزائري، الأمر الذي أسهم في بروز هامش من اللّيونة في المركزيّة الذّكوريّة التي كانت تحكم الرّؤى والتصوّرات؛ وتؤطّر العلاقات بين الفضائين الذّكوري والأنثوي، وهو ما انعكس على معالم البنية العلائقيّة للنّظام الأسري الجزائري، من خلال إدراج المرأة كشريك أساسي فيما يتّصل بتسيير شؤون الأسرة والبت في القضايا المصيريّة، وكذا منحها هامشا من الحرّية في أداء بعض الأدوار خارج المحيط الأسري تضاهي تلك الأدوار التي كانت إلى وقت قريب حكرا على الوسط الذّكوري.

-ليس من اليسير الخوض في موضوع دور القيم الذّكوريّة في تحديد مكانة المرأة في المجتمع الجزائري ضمن مجموعة من الصّفحات، لأنّه يحتاج إلى دراسات معمّقة؛ تتضافر فيها جهود مختلف الباحثين في مختلف تخصّصات العلوم الاجتماعيّة، بغية رصد أبعاد وتجلّيات هذه المسألة، وفق وجهات نظر مختلفة ومن زوايا متعدّدة.